إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله
منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان
فهو فصيح وما تكلم به إلا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه
فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه
بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك على
لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض بأهل
الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته وأن
قولهم ليس بصادر عن إيقان وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك
وما أنزل من قبلك والإيقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه
والآخرة تأنيث الآخر الذي هو نقيض الأول وهو صفة الدار بدليل
قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا
وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام كقوله دابة
الأرض وقرأ أبو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار
الواو كأنها فيها فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه
لحب المؤقدان إلى مؤسى وجعدة إذ أضاءهما الوقود
أولئك على هدى الجملة في محل الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب
مبتدأ وإلا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين أنك إذا
نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف
وذلك أنه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون بأن الكتاب
لهم هدى اتجه لسائل أن يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين
بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب إلى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال

المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا
بها من الله أن يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم أي الذين
هذه صفاتهم أحقاء بأن يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره
قولك أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار الذين قارعوا دونه
وكشفوا الكرب عن وجهه أولئك أهل للمحبة وإن جعلته تابعا للمتقين
وقع الاستئناف على أولئك كأنه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات
قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن
يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واعلم
أن هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه
الحديث كقولك قد أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان وتارة
بإعادة صفته كقولك أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك
منك فيكون الاستئناف بإعادة صفته أحسن وأبلغ لانطوائها
على بيان الموجب وتلخيصه **فإن قلت** هل يجوز أن يجري الموصول
الأول على المتقين وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره
قلت نعم على أن يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بأهل
الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند
الله وفي اسم الإشارة الذي هو أولئك إيذان بأن ما يرد عقيبه
فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عددت لهم
كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب
تعديدها بقوله فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه وإن عاش لم يقعد ضعيفا مذمما

Copyright